

الإثنين 14-01-2009

502- عن الخزي، والقمر، والذنب، والاحترام (6)

الحلقة الأخيرة (إن شاء الله!!)

عزيزي...

مرة أخرى، نأمل أن تكون قد قرأت النشرات التي قدمنا فيها هذه الحالة، قبل قراءة هذه النشرة:

2008-12-16، 2008-12-17، 2008-12-30، 2008-12-31، 2009-1-13

وسوف نعرض مقتطفات دالة مما سبق نشره، قد يطول بعضها بتكرار قد يبدو مملاً لأصحاب الذاكرة الحادة، وقد يبدو ضرورياً لمن يأخذها على عمل التأكيد والتوضيح الضروريين.

شكراً

مقتطفات من تاريخ الحالة

.... سامح طول عمره خجول، مالوش أصحاب كثير، يحب يقعد في البيت أكثر الأوقات، بيصلى ويصوم من صغره

..... حكي عن خبرات جنسية صعبة، فهو يقول أن اثنين من زملاء المدرسة، أكبر منه مارسا معه الجنس في ظروف يستحسن أن نعيد حكيها بألفاظه:

.... فيه اثنين زميلي في اعدادى كانوا بيحبروني على كده، كانوا يدوني مواعيد ولازم أروح فيها، وكنت باقول لأهلى انى رايج اذاكر مع صحابى، يكن لو والدى شد على ماكنتش رحى، لو رفضت كانوا بيهددوني، واحد منهم قال إنه مصورنى 36 صورة، وكان بيهددى انه حايوريهم لأمى، كان كل مرة باحرق صورة لخد لما خلصوا، كانوا يقولوا لى لو ماجتش حا نجرسك بالفضيحة، كنت باحس انهم عاملين فى حاجة غلط، كنت خايف اخلف، كنت حاسس إن انا فى بطنى ولد وخايف ينزل، كنت عايش فى رعب، بطلت الحاجات دى لما دخلت الدبلوم

مقتطف من المناقشة مع مقدمة الحالة: د. داليا

يجى:

.....، و الظاهر إن الحواديت (وعلاقتها بالأساطير وثيقة) انتبهت لكلمة "بز"، وإنها كلمة أنثوية أكثر، فالظاهر إنهم اعتبروا إن "بز" رجل الرجل علامة الأنوثة إلى في الرجل، "رمز" يعنى، مجرد رمز عشان كلمة "بز"، فالشعور بالحمل اللى قاله الولد الغلبان ده مش تحريف كله، ده شعور إنسانى، أنثوى في المقام الأول، ممكن الخبرة السخيفة دى اللى ابدت بدرى كده، ممكن تكون حرّكت، جانب داخلى جداً في تركيبه الأساسى، هو لما قال لك أنا كنت حاسس إن في بطني عيل ماكانش مجرد بيتخيل، لا دا يمكن كان بيعتر عن استقباله الداخلى للجانب اللى اتحرك ده، ويمكن حتى ترحببه به، مرة ثانية ده مجرد فرض يمكن يساعدنا، يعنى انا رانى إن الخبرة ابدت حب استطلاع، واستمرت بدرجات متفاوتة من القهر والرضا، فحرّكت اللى حركته في الواد الغلبان ده، فبقى هو مضطر لتنشيط قهر داخلى من نوع آخر (دون أن بدرى طبعاً) عشان بسكت اللى اتحرك جواه ده، يعنى بكتم على الحثة اللى استثرت بالشكل ده، ومش بس استثرت عشان تحقق لذة مؤقتة مشكوك فيها، لا، دا يمكن أثارت معها الجزء الأنثوى المتعلق بحثة الأمومة اللى فيه،

طبعاً كل ده محاولة منى لفهم لا أكثر، بيحى يا عيني الولد ده بيقى عليه إنه يقاوم القهر الخارجى، وبرضه القهر الداخلى اللى بيظنط به الحثة دى اللى اتحرّكت فيه غصين عنه، وهو ناشى دلوعة، وآخر العنقود،

مقتطف من التعليق الأخير

.....، لما تجيب طفل يحصل على لذة من كوب فيه سكر مسموم، ويلقى إن ده مصدر لذته، وفي نفس الوقت يلقى إن الناس بتقول له من بعيد لبعيد، من غير منع حقيقى، حاسب ده فيه سم، وبرضه يلاقيهم بيغضبوا عليه إنه يشرب منه، قال إيه عشان يسمحوا له يفضل معاهم مثلاً، تلاقى الحكاية بقت مش مفهومة، يكبر شوية يلاقيها عيبة كبيرة اللى بيعمله ده، سامح اتزنق، بيحى يحاول يقول للعيال السفلة دول "لاه" يلقى جواه بيقول آه، يتلكك ويقول ده تهديد ما هو غصين عني،

طب إيه بقى اللى خلاه يبطل في الآخر؟ في الغالب "اللاه" كبرت، كبرت، بس ما وصلتشى للوعى العادى اللى بنستعمل فيه الإرادة الظاهرة ونمتنع عن اللى احنا اكتشفنا إنه مش عايزينه قوى كده، أو تمنه غالى جداً، إنما فيه وعى تانى برضه وصلته نفس "اللاه" بحجمها المتزايد ده، فراح الوعى اخفى ده، وباين عليه إنه وعى قوى جداً ومستبوع، راح قايلها ومعهمها، فطلعت "لاه" للى جارى ده، وبعدين بقت "لاه"، لكل حاجة، زى ما يكون شاف إن الاحتياط واجب، بقت "لاه" لأى رغبة، "لاه" لأى لذة، "لاه" لأى بنى آدم يبص له، "لاه" لأى أكل، "لاه" لأى حركة،

"..... أنا باقدر **أحترم** النوع ده من الوجود من غير منظره ولا فوقية، حاجة كده لها علاقة مخلقة ربنا اللي انا شاورت له عليها، ما هو مش معقول ربنا مخلق واحد مش محترم، تبقى مش صعبانية، إنت بتعدى التشويه وتبص وراه تلاقى خلقه ربنا موجودة مستخبية مستنيك تشوفها، أدى كل الحكاية.

.... ثم إنه وصلنى إنه فعلا مكافح زى ما قلت له، وهو استغرب، فين الكفاح ده؟ قال لى: أنا مكافح؟ أنا كان قصدى إن اللي ما قدرش يعمله بوعى الصحة، لأن أهله ما مرنوش الوعى الظاهرى بتاعه إنه يقول آه وآه، دا إذا كانوا سحوا من أصله إنه يبقى له وعى ظاهرى، قصدى "ذات" خصوصية، يعنى "سامح"، أعتقد إن سامح اللي اتكون قرب المرافقة بعد ما اتنسى قبل كده اتكون بالزفت ده اللي أذاه بالشكل ده، **جه وعى المرض نجح فى اللي فشل فيه وعى الصحة**، بس التمن كان المرض الشديد قوى ده. أظن أنا قلت له إنت كافحت بالأعراض المرضية إالى ما قدرتش تعمله بالإرادة العادية.

مقتطفات من حالة التدريب عن بعد

الإشراف على العلاج النفسى (28)

د. **مصطفى مدحت**: عندى عيان عنده 29 سنة، غير متزوج، من محافظة فى الوجه البحرى، موظف فى شركة الصبح وبعد الظهر بيشتغل مؤذن فى الأوقاف.....، هوّه جالى يشتكى بأفكار بتلج عليه إن عنده الزهرى، وتغيير فى حجم العضو التناسلى، وإنه خايف إنه ممكن يتقلب ست.

د. **يحيى**: ليه الزهرى "بالذات"؟ ما عاdash حد بيتكلم عنه دلوقتى.

د. **مصطفى مدحت**:، هو كان عنده أعراض اكتئاب برضه، يعنى: قلة النوم، وقلة الأكل، عدم الانتظام فى العمل، وكده.....، فى الجلسة الثالثة. حكى لى تاريخ جنسى ملىان، بدأ بانتهاك، واستعمال، وهو عنده خمس سنوات من أحد الجيران (واحد سنه 18 سنة) لكن ده حصل مرة واحدة، وبعدين العيان بيقول إنه بدأ العادة السرية وهو عنده خمس سنوات برضه.....، وبعد كده ألعاب جنسية خفيفة من الظاهر مع عيال قده، ولما بقى عنده عشر سنوات بدأ ممارسة مع الحيوانات، وبالذات القطط

د. **يحيى**: اشمنى القطط يعنى؟ دى أصعب حيوانات فى الحكاية دى؟ تفتكر تفرق؟ المهم، إنت عارف إن فى الأرياف حكاية الحيوانات دى كتير لدرجة إنها ساعات تبقى مرحلة عادية وهى يمكن لها علاقة باللى بيشوفوه بين الحيوانات، فيه حاجة تانية؟

د. مصطفى مدحت: أيوه، هؤا برضه عمل مع طفل عنده تسع سنوات بس مش كثير.

د. يحيى: هه، وبعدين؟

د. مصطفى مدحت: ابتداءً من عند 16 سنة بدأ ممارسة مثلية بالتبادل مع أولاد في سنه

د. يحيى: يعنى من سن 5 لحد سن 21 سنة عمال يتنقل بالشكل ده، مابطلشى

د. مصطفى مدحت: بالنسبة للتعب اللى بدأ من 8 سنين كانت زادت ممارسته للعادة السرية، وفي مرة أثناء ما بيعملها حس بكرشة نفس، وألم في منطقة الشرج، ودى كانت بداية التغير.

د. يحيى: إنت بتقول انه شغال مؤذن.. هل بيؤم الناس في الصلاة؟

د. مصطفى مدحت: لأ.. ما حصلش.. هو بيأذن وبيقوم بأعمال النظافة بس.

د. يحيى: بقاله قدايه متعين مؤذن؟

د. مصطفى مدحت: تقريباً 10 سنين

د. يحيى: يعنى قبل بداية العيا بسنتين.

د. مصطفى مدحت: لما كلمته عن شغلانة المؤذن دى .. قال لي: هو ممكن يبطل أى شغلانه إلا الشغلانه دى.

د. يحيى: سألته ليه؟

د. مصطفى مدحت: قال إنها بتقربه اكر من ربنا، بيعس إنه فيها بيلاقى نفسه

د. يحيى: مش فيه تناقض برضه بين الشغلة دى والتاريخ ده؟

د. مصطفى مدحت: أيوه، بس هؤا ما جابشى سيرة لأى علاقة بين ده، وده،

د. يحيى: السؤال بقى.. السؤال بالنسبة للعلاج النفسى، دى حالة زحمة قوى

د. مصطفى مدحت: أنا مستغرب إن في الفترة القصيرة دى "7 جلسات" بس، رحت شايف إن العيان اتلم بسرعة اكر من اللى كنت متوقعها من أعراضه، ومن تاريخه المليون ده، فبقيت قلقان من اللى حصل كده يعنى مثلاً ماكانش عنده أمل إنه يتزوج خالص وماكانش منتظم في الشغل لدرجة انه كان عايز يبطله، بعد شهر واحد لقيت أن العيان بدأ "يتحرك"، ويعمل حاجات ماكانش بيعملها: يصلح حاجات في البيت، يعامل الناس كويس، بينتظم في الشغل، بيفكر في مستقبله، وفي جوازه أنا استغربت.

د. يحيى: تقصد العيان مش بس تحسن بالنسبة للأعراض، دا كمان بقى يبادر في حاجات، من غير ما حد يقول له، إنت زعلان ليه بقى؟

د. مصطفى مدحت: هل ممكن يحصل ده كله في فترة قصيرة زي دى؟
د. يحيى: البركة فيك يا أحي،

..... بس أنا مش متأكد إن كل اللي قاله، هل ناخده على إنه حقيقة، ولا خيال؟ يجوز كله صبح أو جزء منه صبح، مثلا حكاية القطط دى مش مألوفة في الفلاحين، زي ما يكون المسألة عايزة مراجعة، هؤا عموما في الفلاحين الحكايات دى عندهم عادية، ويتعدى المسألة من مرحلة لمرحلة، وما بتعلقشى كثير، لكن مش بالكثرة دى ولا التعدد ده، ولا بالتنوع ده، أنا مش متأكد، وبعدين بالنسبة للعادة السرية مثلا اللي بدأت عند سن 5 سنين هل كان فيه "ذروة" (أورجاسم)، طبعاً مافيش قذف في السن دى، إنما في البنات الصغيرات ساعات يبقى فيه "ذروة"، في الأولاد مش متأكد.

د. مصطفى مدحت: كان فيه انتصاب من غير قذف، إنما هؤا بيقول كان فيه "ذروة"

د. يحيى: الانتصاب ممكن، بس الذروة واسعة شوية، ثم إن الكلام ده بداية من سن خمسة، دى الفترة اللي فرويد بيقول فيها إنها فترة كمون، إنما الجذع ده ما بطلشى، حسب كلامه، وزي ما يكون الجنس عنده قعد نشط طول الوقت بدرجات متفاوتة لكن مش لدرجات وأنواع الاخراف اللي هؤا حكاها، وبرضه يمكن ده خلاه قعد يكبر من غير استقطاب بين هوية ذكورية وبين هوية أنثوية، فقعد ميمشى نفسه يا إما بالخيال يا إما بشوية واقع، لحد ما بدأت الوسواس والرهابات تنبئه إنه كده ما ينفعش.

د. مصطفى مدحت: أيوه مع بداية العيا هوه بطل كل ده

د. يحيى: والله ما انا عارف بطل ممارسة ولا بطل تخيل، الظاهر إن النمو الجنسي بتاعه ميمشى متوازي في كل الاتجاهات، ومش بس النمو الجنسي دا باين نمو القيم أيضا، يعني هو مؤذن وبيلاقى نفسه في شغلته الدينية دى اللي بتخليه "يقرب من ربنا"، وفي نفس الوقت هو موظف بعد الضهر في شركة، ولا عمره ربط مشاعره، ولا الحكاوى اللي بيحكياها بشغلة المؤذن، أو بصورته وهؤا على المأذنة بيأذن، أو بيقوم الصلاة، ولا عمره حكى لك عن شعور بالذنب وهو عمال بيأذن ولا هوه هم.

سواء كان اللي حكاها ده حقيقي، أو جزء منه حقيقي، فالظاهر إنه قعد كده لحد سن 21، أنا شايف إنه ما دخلشى مع نفسه معارك وصراعات وكلام من ده، **الحكايات مشيت جنب بعضها لحد ما لقاما كفاية كده بقى**، قام حاول يلم نفسه ما قدرش، فظهرت الأعراض النفسية قلق واكتئاب وسواس ورهابات وكلام من ده، **أنا بافترض إنها ظهرت علشان يساعد نفسه إنه يمتنع، راج لجأ لأقرب حاجة تمنعه من الممارسات دى. فخوف نفسه من إنه يمرض بالزهري، وبعدين لما انت طمنته على حكاية الزهري دى، نقل على الإيدز.**

زى ما يكون هو راح عامل ضمير أو والد من خلال المرض، (يعنى من خلال خوفه من الزهرى، وبعدين من الإيدز لما انت شرتى له طب)، عمل كده عشان مجوش نفسه، ومجوش خيالاته برضه، يعنى استعمل المرض كمرحلة، وبعدين ما صدق لقى العلاج النفسى معاك، شبط فيه، لأن المرحلة مرحلة، عشان كده انت تلاحظ رغبته فى العلاج، وإنه بيجيلك بانتظام من محافظة عايزة سفر ساعتين كل أسبوع، يعنى المرض هنا عمل عنده دور إيجابي، وبعدين لما جالك وشعر بالسماح، إنك ما حكمتش عليه فاتلم أكثر وراح عاملها وخافف، فانت تخضيت.

د. مصطفى مدحت: أبوه استغربت

د. يحيى:يا إما يكون نموه كان بيتحرك طول الوقت، وانحرافاته ما كاتش تثبتت ووقفة، زى ما تكون كانت تجريب وتعدى، فهو جالك جاهز وكانت حركية النمو عنده لسه نشطة، فلما اطمأن لك وصدق سماحك، راح عاملها وقال لك يا واد ما فيه سكة أمان أه، واختار العلاج وإنه يكمل نموه، بدل كل الهيصمة دى، وبدل الحل بالمرض برضه.

التعقيب الحالى: (بعد اضطرارى لإعادة كما سبق التنويه)

نلاحظ هنا بالمقارنة بين الحالتين ما يلي:

1- إن سامح عنده 17 سنة فى حين أن عبد الرحمن عنده 28 سنة (بفارق 11 سنة)، وبالتالي لا نستطيع أن نعرف كيف سوف تكون حالة سامح بعد 11 سنة، حتى لو أخذ العلاج مسارا جيدا.

2- إن سامح لم يدخل الحياة أصلا، لم يدرس، لم يعمل، من حيث واقع الأجزاء، لم يعترف به أبوه أو أمه إلا بقدر الاستجابة لطلباته (ثم ركنوه بجوار الحائط = جنب الحيط = ناسين إنه موجود) فى حين أن عبد الرحمن دخل الحياة، والتزم بعملين، وتمسك بهما، ووجد فى العمل المتداخل مع الدين ما أرضاه أكثر، دون أن يشعر بالذنب أو حتى بالتناقض، وحين خيّر - نظريا - بين عمله فى الشركة وعمله كمقيم شعائر اختار الأخير!!

3- إن سامح لم يتدرج فى نموه الجنسى مثل عبد الرحمن، فأول معلومة عن الجنس كانت فى سن 11 سنة، وبلغ سن 14 سنة، وعرف إنه بلغ من الاستحلام (أثناء النوم) وليس من العادة السرية، وبعدها بدأ العادة السرية، وفى نفس الوقت تقريبا بدأت خبرة الممارسة المثلية السالفة الذكر،

4- أما عبد الرحمن فقد بدأ ممارسة فعلية فى سن خمس سنوات حين استعمله من الظاهر أحد الجيران (18) سنة، ثم قال إنه بدأ العادة السرية وهو عنده خمس سنوات أيضا، وزعم إنه كان يصل للذروة (كما قال) كما مارس الجنس مع حيوانات متنوعة منذ ما يقرب من ذلك، ثم من سن 16 سنة مارس جنسية مثلية متعددة متبادلة مع أقرانه حتى سن 21 سنة، ثم توقف عن هذه الممارسات واستمرت العادة السرية حتى زادت مع بداية التعب الذى أدى إلى الاستشارة الطبية

5- توقف سامح عن هذه الممارسات قبل سنة واحدة - على حد قوله- من بداية المرض، وكانت وظيفة المرض كما افترضنا أنه قال "لا" لهذا الموقف الشديد الصعوبة، قالها المرض يرفض كل شيء معاً، اللذة، والقهر، والناس، والأكل، والحركة، والحياة

6- توقف عبد الرحمن عن هذه الممارسات الأخيرة مع بداية المرض، وذلك بفضل المرض أيضاً الذي أزعجه من الزهري (فالإيدز) حتى امتد الرعب لمجرد الاحتكاك في الأتوبيس، ولم يحتج أن يصاب بذهان مجمّد مثل تلك الصورة التي أعجزت سامح، وظل يواصل العملين معاً، وجاء يشكو من أعراض الرهاب من المرض التناسلي فقط

7- بمجرد أن تقبلُ زميلنا المعالج البادئ مريضه عبد الرحمن، بما أسميناه الجهل الجميل، وشرح له صعوبة أو استحالة إصابته بالزهري هكذا، وحتى بعد أن استبدل عبدالرحمن الإيدز بالزهري لفترة ما، بمجرد أن اطمأن عبد الرحمن أن معالجا طبيبا سمحا قد استوعب تاريخه، وعاونه في أن يواصل حياته دون نصائح مباشرة، أو لوم أخلاقي، جمع عبد الرحمن نفسه، واستمد المنع المسامح في نفس الوقت من المعالج، واستغنى عن الأعراض وتحسن خلال أسابيع، فأصبح أكثر مبادأة، والتزاما في البيت والعمل، وتوجه نحو قرار الزواج برغبة وجديّة

8- سامح بسنه الأصغر، ونموه المخلق المشوّه، وصلته محاولة الطبيب الكبير أنه "مكافح"، بمعنى أنه استعمل المرض ليرفض ما لم يستطع رفضه أثناء صحته وهو بكل ذلك الضعف وتلك الهشاشة أمام كل هذا القهر واحتمال مشاركته في القبول تعوداً على اللذة، وقد بدا حرصه على الشفاء أثناء المقابلة، فكان مظهراً آخر لمحاولاته المكافحة لإنقاذ نفسه، كما أنه تقبل محاولة الطبيب احترامه أيضاً بشكل لم نتوقعه، وإن كنا استبعدنا تصديق أن هذه الرسالة الصعبة، (الاحترام) قد وصلت كما بدا من المناقشة الحوارية، بالقدر الذي قد يعينه على بداية جديدة لاستمرار نموه

الخلاصة وملامح فروض جديدة

يبدو من هذه المقارنة السريعة ما يلي:

- إن النمو الجنسي لا ينفصل عن النمو عامة، وبالذات نمو "العلاقة بالآخر"، وتشكيل الذات

- إن البداية المبكرة للتعرف على الجسد، فالجنس، ولو حتى كانت بدايات سيئة أو خطأ بشكل محدود، لا يحبس الجنس مستقلاً عن بقية مسارات النمو .

- وهذا ليس مرادفاً للشائع عن الدعوة إلى التربية الجنسية، إن ما يسمى تعليم الجنس في المدارس دون جو ثقافي عام، يتصف بالمسامية والحركة والنور والحوار، قد يكون تلقيناً تحفيظياً يقوم به من لم يعرف جوهر ولا روعة ولا وظيفة الجنس البشرى بعد أن قطع هذا المشوار التطوري الطويل

- إن جرعات مناسبة من السماح بالمعرفة، والتفاهم في النور، ولا نعى بذلك السماح التماذى فى الظلام، هو أمر وارد وقد تكون لها آثار إيجابية

- هناك شكل من التساهل يبدو وكأنه السماح، مع أنه عكسه تماما فى النهاية، وهو الإغفال بالإنكار، والتجاهل، والثقة المفرطة فى غير محلها، وهو ما حدث غالبا بالنسبة لسامح. السماح لا يعنى غفلة الوالدين، بل إنه العكس تماما، هو النتيجة الطبيعية لىو عام من الخرية والحركة، يتيح الفرصة لنمو طبيعى، بالقدر الذى يتيح التراجع والتعلم.

- قد يأتى السماح ليس من تراخى قبضة السلطة، بل من إحكامها الواعى، لكن دون قهر جاهز وترهب متواصل، كما قد يأتى - كما فى حالة عبد الرحمن- من تواتر الممارسات التجريبية العابرة بشكل عام فى سن النمو الباكر، الأمر الذى قد يترتب عليه سماح ذاتى بالدخول والخروج -من التجارب واقعا أو خيالا- بشكل يساهم فى النمو لا يعوقه

- حتى لو جاء السماح بشكل عام نتيجة لتواتر الممارسة بين معظم من هم فى سن معينة، أو جاء من خلال مجال تربوى مسامى متفاهم، فإنه يتيح الفرصة أن تمر مثل هذه التجارب ضمن مجارب النمو، بل وقد تترك آثارا إيجابية فى نهاية النهاية إذا تم استيعابها فى ظروف مناسبة

- إن هذا السماح، أو التفهم، فى النور، أو كل ذلك معا، ليس له علاقة مباشرة بما ذهب إليه فرويد عن "الجنسية الرضية"، ولا عن عقدة أوديب وما شابه، فهو أقرب إلى تجليات محدودة من عنادات من التاريخ البيولوجى والجنسى والأسطورى لنمو الإنسان عامة، تتطور الواحدة تلو الأخرى فى تداخل سلس ما استمر النمو فى التوجه الصحيح

النمو الجنسى وبقية مسارات النمو

لا توجد وظيفة بشرية (أو حيوية بصفة عامة) تنمو منفردة تماما، لكن توجد ظروف غير طبيعية تعوق إحدى الوظائف عن النمو الطبيعى جنبا إلى جنب مع سائر الوظائف، يحدث هذا النمو المتواكب فى الحيوان مثلما يحدث فى الإنسان، لكن الأمور فى الإنسان أعقد وأروع، وذلك بمعنى أن النمو المعرفى، والنمو الوجدانى، والنمو العلاقاتى (العلاقة بالآخر) وكل نواحى النمو الأخرى، تسير جنبا إلى جنب فى خطى متوازية متكاملة فى نفس الوقت، بل وهذا أيضا - من وجهة نظرى الخاصة - هو ما يتم بالنسبة لنمو العلاقة المتناسفة مع الأكوان الممتدة إلى وجه الحق تعالى، وهى العلاقة التى تنظمها أصول الأديان قبل أن تشوه .

يبدو أن الذى حدث مع عبد الرحمن أنه قد سمحت له ظروف ثقافة طبقته الاجتماعية، فى بيئته الجغرافية، أن تنطلق مسارات النمو فى مجالات مختلفة بدرجة متوازنة - نسبيا- فى مساحة رحبة، ومحركية، تسمح بالإقدام بقدر ما تسمح بالتراجع تعلما وغير ذلك،

ربما هذا هو ما يفسر عدم شعوره بالذنب من ناحية، وافتقار المعالج والمشرّف إلى فهم عدم تناقضه ما بين عمله (الذى يقربه من ربنا) وبين ممارساته المتنوعة المتعددة المتنقلة،

في نفس الوقت، حين وصل الأمر أن تتواصل بعض هذه الممارسات (التي رجحنا أن بعضها أو ربما كثيرا منها كان تخيلا لا واقعا، علما بأن التخيل قد يؤدي نفس الوظيفة، فهو وعى آخر) أقول حين وصل الأمر عند عبد الرحمن أن عمادت بعض هذه الممارسات أطول مما تحتاجه خطوات النمو، ووجد نفسه غير قادر على أن يضع لها حدا، ظهر المرض يخوّفه، بالسواسوس والرهابات، فتوقف، إلى أن وجد طبيبا يتمتع بمهمل جميل، قبّلته كله على بعضه، فجمع تجاربه، واطمأن إلى طبيبه وشفى في سبع أسابيع (على الأرجح) كما لاحظنا

أما ما حدث لسامح فيبدو أنه عكس ذلك تمام، كل ما وصله من دين هو تعليمات سطحية عابرة دون ممارسة أو قدوة، وصله ذلك ومثله من أبوين تخلوا عن مسئوليتهم بطيبة هي للأسف غفلة، فانطوى على نفسه، ولم يجد حتى تعويضا في دراسة منتظمة، أو عمل ملزم،

لم يعترف به أحد تلميذا أو عاملا أو حتى إبناء، وحين وجد من يعترف به جاءه الاعتراف ملوثا قاهرا، لكن عمقا في داخله استقبله بشقيه: اللذة والاعتراف معا، فكان ما كان.

لم نلاحظ عند سامح أية معالم للحركة، والمثابرة، والتجربة والخطأ، اختزل كل وجوده في هذه الزاوية الشائثة والمشوّهة، فلا موضوع، ولا إنجاز، ولا دين، ولا شيء إلا هذا المزيج المتداخل من القهر واللذة،

لم تقم كل هذه الممارسات القامعة بدور نمائي، بل بالعكس أدت إلى هذا النكوص الذي عرى الثنائية الجنسية من جهة، وفاقم الأزق الذي جعل فرصة رفض الجارى بإرادة واعية، حتى يطلق مسار النمو، ومستحيلة، فظهر المرض ليؤدى وظيفة الرفض الشامل بهذه الصورة الخطيرة

* * * *

ملحق النشرة:

وصلتني من د. أميمة رفعت هذه الرسالة تعقيبا على ما كان قد نشر من حلقات حول هذا الموضوع أنشرها فيما يلي - بديلا عن نشرها في "بريد الجمعة" أو في "باب استشارات مهنية" حتى لا أضطر لإعادة للمرة الكذا هناك، أنشرها مع تعقيب محدود، يلحقه مقتطفات مما سبق ذكره.

"..... عن احتمال الربط بين حالة سامح وحالة الإشراف عن بعد"

من نص الرسالة

عندى حالة أعالجها منذ ما يقرب من شهر هي مزيج من الخاليتين . مريضة لديها 32 سنة إبنة إمام مسجد في إحدى

الحفاظ، تم نقله إلى الإسكندرية منذ 18 سنة تقريبا . المريضة هي الأخت الوسطى لستة إخوة و أخوات، ولها نشاط جنسى مستمر منذ سن 11 عاما حتى 22 عاما . بدأ بإساءة الأخ الأكبر لها جنسيا هي والأخت الصغرى، ثم إساءتها هي نفسها لابن الجيران الأصغر جنسيا، ثم الممارسات الجنسية المتعددة (تجارب ليست كاملة) مع شباب مختلف يدافع التجربة والفضول كما تقول ،

التعليق

.... شكرا، على إعطائنا هذه الفرصة

ذلك لأن هذه البداية ليس لها علاقة بما أشرت إليه حالا بالنسبة لحالة سامح، والأهم حالة عبد الرحمن أساسا، بل إنها تتيح لي الفرصة أن أوضح أنها تمثل العكس تقريبا،

إن السماح الباكر، في ظل الانفتاح والمسامية والصراحة والإحاطة، للتراجع، هو الذى يتيح فرصة لنمو الوظائف النفسية والبيولوجية في مسارها الطبيعي ومن بينها الوظيفة الجنسية بشقيها اللذى والتواصل، أما البداية هنا في هذه الحالة فهي تبدو متأخرة، وأنا لست متأكدا إن كان لها علاقة بوظيفة الوالد الفاضل أم لا، خاصة أنه وجه إلى التعليم الأزهرى تحديدا،

هذه البداية لا تثبت أبدا الفرض الذى افترضته في آخر حلقة (وأنت معذورة، فأنت لم تكونى قد قرأتها بعد يا د. أميمة) ولا هي تشير إلى نفس احتمالات الخيال والتنقل والتجربة بالمراجعة للاستفادة، التى مارسها عبد الرحمن (والتي شرحناها حالا في الفرض الأساسى).

يبدو أنها بداية تواكبت مع سن بلوغ هذه الفتاة، بعد فترة لا نعرف ماذا جرى للوظيفة الجنسية فيها من حيث الاحترام والاعتراف والسماح والحوار، فبدت مثل هذه البداية بمثابة قفزة تعويضية شاطحة سائفة هكذا.

ثم إنها كانت بداية جاءت من خارج المريضة، من الأخ، الذى لا أعرف سنه آنذاك، والذى لم يتوان أن يمتد نشاطه المحارمى إلى الأخت الأصغر،

ثم إن مريضتنا "لم تقصر بدورها!!"، فبدأت مع ابن الجيران الذى لا أعرف عمره،

هذا، وأنا لم أعرف تحديدا ماذا تقصدين بتعبير "أساءت هي نفسها" ويبدو أنك تقصدين abuse، وأنا أتخفظ في استعمال هذا التعبير هنا، إلا بعد أن أعرف سن ابن الجيران وما تم تحديدا

ثم تأتى بعد ذلك ممارساتها الجنسية المتعددة مع شباب مختلف، فتصلنى غير ممارسة عبد الرحمن التجريبية (الخيالية جزئيا) تلك الممارسات السلسة التى مر بها عبد الرحمن حتى مع الحيوانات، الممارسات هنا أغرب وأبعد توقعا وهى بنت، ووالدها هو ما ذكرت، فأتساءل عن حجم الخيال أيضا في ذلك،

وهذا يمكن معرفته - ولو جزئيا - من السؤال عن التفاصيل: المكان، الأعمار، اختلاف التجربة، المدى.

ولا يكفي أن توصف بأنها ممارسات ليست كاملة، فلهذه أيضا درجات، أما أن توصف هذه الممارسات، ونحن لا نعرف عددها تحديدا، توصف بالفضول وحب الاستطلاع من سن 11- حتى 22 فهي مدة تتجاوز حب الاستطلاع كثيرا،

هذا كلام المريضة، نسمعه ونحترمه، ثم نفحصه .

من نص الرسالة

..... حتى كانت آخر تجاربها أكثر تطورا ولكن ليست ممارسة كاملة أيضا مع خطيب لها أجبرها أبوها على الارتباط به بعد أن ظل يرفض من اختارته هي لمدة 8 سنوات لم تكف خلالها عن ممارستها معه هو أيضا . بعد التجربة الأخيرة إنكسرت و دخلت المستشفى بحالة هوس منذ 6 سنوات على ما اعتقد

التعقيب

مع هذه الفتاة، ينبغي الخذر من احتمال إسهام الخيال في نسج هذه الحكايات، خاصة بعد أن تبين أنها معرضة لذهان الهوس لاحقا .

لا يمكن الجزم بطبيعة ومنطق سبب رفض والدها لهذا الذي اختارته، وظل يلج عليها طوال ست سنوات، فينبغي أخذ هذه المعلومات بحذر وتدقيق، فهل كان هذا الخطيب من بين من كانت تمارس معهم نشاطها من باب حب الاستطلاع؟؟ وإلى أي مدى كان جادا؟ ما أسباب الرفض تفصيلا، المرة تلو المرة؟ ثم من هذا الذي أجبرها والدها على الارتباط به، وهل ظلت تمارس الجنس مع الذي اختارته ست سنوات، أم مع خطيبها .

ثم ما هي تلك التجربة الأخير التي كسرتها، أي الممارسة (غير الكاملة) مع واحد مفروض عليها، لم يتزوجها بعد، أم مع من اختاره قلبها قبله؟؟!!

أنا لا ألومك يا د. أميمة لنقص المعلومات، فكل حالات الإشراف عن بعد لا نناقش فيها إلا المعلومات المطروحة، وهي ناقصة عادة (مثل حالة عبد الرحمن)، وهذا عكس الأمر في باب "حالات وأحوال" (مثل حالة سامح التي استغرقت ست نشرات كما ترين)، لكن المسألة في حالة مريضتك هنا غامضة غموضا يحتاج إلى وقفة، وقد نشرتها كلها برغم هذا النقص لأنها - بحضورها العكسي هكذا - توضح جانبا من "فروضي" أنا وخشيت أن يفهمه المتلقى بغير ما قصدت،

حالتك هذه يا د. أميمة تبين نوعا من الممارسة المتعددة الباكرة، التي تشوه وتقزم وتجهض أي نمو حقيقي لوظيفة بيولوجية رائعة تحتاج أن تتواكب فيها الوظائف معا بمرحلة مرنة، وتجارب في النور، تسمح بالحوار والتراجع والتعلم .

إن لك الفضل أن ترينا أنه حتى لو كان الأب الفاضل بهذه الصورة المتلزمة الأمرة بالمعروف، الناهية عن المنكر، فإن الافتقار إلى مجال النمو الصحيح لا يمنع من ممارسات يكون الكبت (الصحي والصحيح) أفضل منها.

ثم إن إصابتها بالهوس بالذات، قد يرجعنا إلى التفكير في احتمال أن يكون سلوكها منذ البداية هو درجة أقل من الهوس بشكل أو بآخر، (بالإضافة إلى خيالات خصبة) الأمر الذي يحتاج معلومات أكثر وخاصة عن تاريخ المرض النفسي في الأسرة وغير ذلك.

من نص الرسالة

..... (ثم) جاءتني وهي تلبس قناع الواعظ، لا تكف عن قراءة الآيات القرآنية والأحاديث، وهو يسير بالنسبة إليها فهي خريجة كلية ازهرية، وتتهم الجميع بعدم الطاعة وتأم كل من حولها و كأنها تسقط كل خطاياها على الآخرين، ثم تحاول إصلاحها .

التعقيب

أعتقد أن ذلك يؤكد احتمال أن تجارها الجنسية الأولى لم تكن تجارب نمائية أصلا، وإنما الأرجح أنها كانت نشازا بدائيا، مختلطا بخيال جامع ها هي تحاول أن تغطيه بقناع الوعظ الذي استمدته من دراستها وربما من أبيها (دون لوم على أيهما بشكل مباشر)

من نص الرسالة

بعد أن بيننا علاقة سوبا (بصعوبة شديدة) حكيت لي قصتها، ثم سألتني بجدة وتأنيب: "\ إنني مشمئزة مني ؟ "\ أجبت بالنفي، فقلت بنبرة أكثر حدة: "\ يجب أن تשמئزي مني، كل إلى حكيت هولك قرف و حرام "\ . الحقيقة أني إرتبكت في هذه اللحظة، وسألت نفسي نفس سؤالها، ما السبب الذي يجعلني لا أشمئز منها ؟ لم يكن لدى فرصة للتفكير فرددت بما جاء في بالي في هذه اللحظة: "\ و بعد أن أشمئز منك، إيه الخطوة الجاية ؟ "\ كنت أكلم نفسي أكثر مما أكلمها ووجدت أنني لسبب ما لا أريد أن أنركها، وهي أيضا تقبلت إجابتي لأنها لا تريدني أن أتركها

تذكرت هذا الحوار و أنا أقرا تعليقك على حالة سامح، بان قبول المريض بما هو عليه، واحترام إنسانيته ووجوده برغم إغرافه عن المسار هو من قبيل الإحترام وليس الشفقة، وربما يجيب هذا على سؤال المريضة وبالتالي سؤالى لنفسى "\ لماذا لم أشمئز منها ؟"

التعقيب

أذكرك يا د. أميمة أننا لم نرفض مثل هذا الشعور من جانب المعالج منذ بدأنا باب التدريب عن

بعد، ثم باب استشارات مهنية بالذات، ولعلك تذكرين أول حالة أرسلت تستشريني فيها، ففتحت لنا هذا الباب، وكيف أنك كرهت مريضتك، فشاركناك حقلك في ذلك، أقول إنني أذكر أننا لا نرفض حتى الأشعزاز من مريض كبدية، فنحن بشر، ونعالج المرضى - كما كررنا مرارا - بما هو "نحن"، لا أكثر ولا أقل، فالاشعزاز ومثله، مسموح به، لأنه وارد بما هو نحن بشرا من حقنا أن نشمئز، الفرق هو أننا لا نتوقف عنده، وفي نفس الوقت لا نخدع أنفسنا ونسرع بالإبدال (الميكائزى) بأن نمارس الشفقة على مرضانا من أعلى وكأننا نساعدهم من موقع حكيم، الذى يستطيع أن يحمل مسؤولية اشعزازه بين يديه، ثم يتقدم بالرغم من ذلك في محاولة احتواء نفسه ومريضه في إطار أشمل واحدة واحدة، هو الذى يمكن أن يعايش ما أسمناه "احترازا" الذى هو جوهر الحب البناء الذى نعنيه، وعلى فكرة هو ليس حيا باردا ولا عقلانيا، بل لعله سوف يثبت أنه الذى يستاهل كلمة "حب" دون غيره.

من نص الرسالة

التشابه الثانى هو مع حالة الإشراف عن بعد، وهو تغير الدفاعات فجأة و إن كانت لم تلجأ لشبه الصحة، ففي يوم وليلة قُدرت المريضة التخلي عن دور الواعظ وأن تظهر وجهها القبيح للجميع، فأخذت تمارس العادة السرية بجنون أمام التمريض وتعلن ما تفعل أمامى وهى تطلب منى أن أكرهها. أعتقد أنها كانت تريد أن تعاقب نفسها ولم تكتم بذلك بل رفضت تماما تناول أى دواء و كأنها لا تريد أن تشفى و تريد أن نراها دائما على حقيقتها

التعقيب

لا أذكر أنني ذكرت أن الدفاعات تغيرت فجأة عند عبد الرحمن حتى إلى ما يشبه الصحة،

لقد طرحت هذا الاحتمال لأميز بين التحسن الزائف، الذى علينا أن نقبله أيضا إذا استمر ناجحا، وبين التحسن الحقيقى الدال على أن العلاج قد أكمل مشوارا ثانيا كان المريض يقوم به وحده قبل أن يسألنا النصيح،

وهذا الاحتمال الأخير هو ما رجح لدى فبينته خاصة في يومية أمس واليوم، (ومعك عذرك إذ أنك لم تقرنى بعد لا هذه ولا تلك)

أما ما حدث لمريضتك من انهيار الدفاعات فهو حدث في الاتجاه العكسى تماما، وقد تجلى المرض الأسمى من النوع المختلط، (الهوسى الاكتئافى معا) وهو يشير إلى انهيار الكبت (العادة السرية علانية) وفي نفس الوقت إلى الخلف "كحيلة انسحابية هروبية" بالعزوف عن الأكل والعلاج، لكننى لم أر في هذا أو ذاك أى عقاب للذات،

من نص الرسالة

أمرت لها بالعلاج بالصدمات وسنرى ماذا سيحدث...

يا د. أميمة، يا د. أميمة: لقد سبق أن شرحتُ لك تفصيلاً الآلية التي أستخدم بها هذا العلاج العظيم، يا د. أميمة لا أنا - ولا أنت، المفروض يعنى - نعطي المرضى صدمات من أصله، هذه ليست صدمات، وإنما هي علاج تنظيم إيقاع المخ، Rhythm Restoring Therapy وهو بمثابة إعادة تشغيل الحاسوب، ونتيجته تتوقف على كفاءة الحاسوب ونوع عطله، ولذلك فمن المهم جدا في كل حالة أن نحسن "الإعداد" و"التوقيت" لهذا العلاج الرائع، حتى يأتي بأفضل النتائج ولا أظن أن هذه المريضة قد أعدت - في حدود ما ذكرت إعدادا كافيا، ولا أن هذا وقته، ولكن هذا لا يمنع من اعطائها "تنظيمية" (جلسة واحدة) ولا تعطي الثانية إلا إذا كانت الاستجابة إيجابية، فقد تكون قد أعدت لها من خلال إخلاصكم وتحملكم واحترامكم لها، حتى لو تغلف باشمزازك المشروع.

من نص الرسالة

ولكنني أجد صعوبة دائما في التعامل مع شعور المرضى بالذنب ،

التعقيب:

بدا لي أن هذه المريضة - في كل المراحل التي شرحتها لنا - لم يتكون لديها كيان داخلي حقيقي يمكن أن يُشعرها بالذنب (علما بأنني لا أعتبر الشعور بالذنب مزية أو ميكانزما بناء أصلا)، ما حدث مؤخرا هكذا هو نكسة حادة، تدل على تفاقم الحالة من جهة، وعلى أنه لم يصلها من كل الجهود الجيدة التي بذلتها أنت وزملائك ما يكفي لكي تصدق أنها يمكن أن تستحق الاحترام، وهذا ليس ذنبكم (ولا ذنبها بشكل مباشر)

وبعد

نذكر القارئ الصديق بالعودة إلى نشرة أمس بالذات فيما يخص محاولة شرح هذا الوجدان المعرفي الفاعلي الذي اسمناه الاحترام (عن الخزي، والقهر، والذنب، والاحترام 5-6) وأيضاً، برغم ما أوصيناه به في البداية أن يرجع إلى نشرة (عن الخزي، والقهر، والذنب، والاحترام 2-6) التي حاورنا فيها المريض حول الاحترام.

شكرا وعذرا

- سوف نسميه بهذا الاسم ابتداءً، علما بأن الطبيب المعالج لم يذكر اسمه أصلا، كما هو المتبع في باب "التدريب عن بعد".

- ملحوظة: حين كتبت أطروحتي عن "الوظيفة الجنسية من التكاثر إلى التواصل" لم تخطر لي تفاصيل ارتباطها بالاعتراف بالوجود، ثم العلاقة بالآخر بهذه الصورة، وأنا أعترف أنني أحتاج إلى مراجعتها من خلال هذه الفروض الجديدة التي نعايشها معاً، ولسوف أفعل إن كان في العمر بقية